ألغام الدكتور ماغنس

للاســـتاذ نجاتي صدقي

كان سكان حي وادي الجوز في القدس مستسلمين إلى نوم عميق بعد يوم من العمل الشاق في سبيل المعاش، وكانت الساعة تشير وقتئذ إلى الثانية بعد منتصف الليل .. فإذا وقفت في غرفتي في تلك الساعة وتطلعت من نافذتها الشرقية مخترقا بنظرك ظلام الليل الحالك، ارتسم أمامك جبل الزيتون، وقد قامت عليه أشباح عمارات الجامعة العبرية، ومستشفى هـــداسا، وهي تتصل بالفحم السائل ...

ثم إذا لقيت بنظرك إلى يمين الجبل رأيت هناك قبما من بيوت قرية الطور وهي أيضاً تغط في نوم عميق هادىء، لكنها آثرت أن تبقى بعض الأضواء هنا وهناك تحسبا للمفاجآت، وكم تحمل هـذه المفاجآت في طياتها من جرائم مشبعة بالخسة والنذالة . وكنت أنا ساعتئذ في جملة الناس المستغرقين في نومهم، أودع يوما مضى واستقبل يوما آتيا، وإذا بي أستيقظ لجلبة، أزيز الرصاص ينطلق من جميع الأسلحة الآلية، من (برن و (ستن) و (طومسون) وبنادق انكليزية وكندية وفرنسية والمانية، يتخللها انفجارات مروعة تهتز لها أركان البيوت تمتزج مع أصوات نساء ورجال وصغارات، فيتجاوب صداها في الوادي الممتد من محلة الشيخ جراح حتى ضريح المذراء من فتحيات نفسي في مدريد سنة ١٩٣٧ ! ...

كان المهاجمون جماعات من منظمة (الهاجانا) اليهود الرابطة في الجامعة العبرية وهم خليط من التلامذة والعمال، وبينهم عدد من الفتيات . . وقد اقتحموا أطراف الحي من ناحية الجبل مغتنمين فرصة خلو هذه الناحية من الحرس الوطني تقريباً، لأن السكان كانوا يعتقدون بأن الجامعة العبرية هي معهد علم وتربية وثقافة، ويستحيل أن تصدر منها طلقة واحدة .

ومما يدل على قوة اعتقاد العرب هذا، حوار جرى بيني وبين صاحب حانوت من أهل الحي، وهو رجل أمي، سليم الطوية قلت له: أتظن أن الجامعة العبرية ستكون مصدر خطر على وادي

ما استطاع إلى ذلك سبيلا .

وهنا تبرز جوانب خاصة من شخصية هذا الظريف تبعثنا على أن نؤكد لك أنك ستبحث في طوايا الأدب العربي طويلاً حتى تجد ظريفاً كأبي العيناء يحسن الهزل في جده كما يحسن الجد في هزله، فيمزج بينهما مزجاً يحيرك، ثم لا تدري: أتلتمس من بين غضون شعره أو نثره حقيقة ترضيك، أم خيالا يلهيك!

فهو مثلا يريد أن يتغاضى عن حوله يعمد إلى تنامي عيبه، ويمعن في إظهارك على بعض ما أورثه الحول من الخيرات، وما حمل إليه من البركات، وما أنقذه من المآزق المحرجات، ويثني على الله هذا الثناء الذي قلما نسمع بمثله إلا من مثله :

حمدت إلهي إذ بلاني بحبها على حول يثني من النظر الشزر
نظرت إليها والرقيب يظنني نظرت إليه فاسترحت من العذر!

هذه صورة من هزله في جده، لكن أسلوبه حين دافع عن عماه بعد أن أخذ الله نور عينيه يختلف من بعض الوجوه عن أسلوبه ههنا، فإنه هناك أدنى ميلا إلى الجد الذي يتجلى في فخره بنفسه، وفي اعتزازه بلطف حسه وإرهاف حسه، وفي إعجابه بسلاطة لسانه وقوة بيانه، وذكاء قلبه ورجاحة لبه، وصرامته في حماية ذاته من لهوز العابثين :

إن يأخذ الله من عيني نورهما ففي لساني وسمعي منهما نور!
قلب ذكي، وعقل غير ذي خطل وفي فمي صارم كالسيف مأثور!

ولقد يكون هذا الفخر داب كل من يشعر بنقصه في شيء ما فإذا هو يتلمس الأسباب إلى ستر مصابه بمحاسنه، فيتجاهل الحقيقة المرة ويتفاخر بما عوضه الله من خير ... إلا أن أبا العيناء لا يكتفي بهذا، فأمله لديه ظاهر التصنع، بادي التكلف، وإنه يريد أن يجلو لك نفسه على حقيقتها كما يزعم ثم يشعرك بقبيح تلك الحقيقة، لتقتنع بقوة شخصيته : وهـذا ضرب من جده في هزله .

(ينبع) سمحي ابراهيم الصالح

الحوز والأحياء العربية المجاورة ؟

فقال : كلا يا أبا سعيد ، هذه دار علم ، ونحن لا نحتلها ، كما أننا لا نعتدى عليها ... وهي على الجملة فى حمى قوانين العالم !

وحدث أيضاً أن اعتقل الحرس الوطنى صحفيا يهوديا أمريكيا واقتاده إلى مقر قيادة مدينة القدس ، حيث أخذوا يحققون معه فقال فى دفاعه : إننى من أنصار الدكتور ماغنس عميد الجامعة العبرية ... وحزبنا يريد سلماً مع العرب . فأفرجوا عنه مصحوباً بحرص ليوصله إلى الأحياء اليهودية .

وبلغ مسمعى حوالى الساعة الثالثة بعد منتصف الليل أصوات آتية من وسط الوادى تقول بالعبرية : مهير . مهير . كاديما(*) !

وأعقب تلك النداءات انفجار هائل شعرت معه أن دارنا قد تزحزحت عن مكانها ، ثم استمر تبادل إطلاق النار حامياً ، وكانت تصدر عن الأسلحة السريعة الطلقات أنغام غريبة تشبه الخبط على الأبواب ، أو النقر على الزجاج ، أو الضرب على طبلة السحر ... ثم تنفجر ألغام الدكتور ماغنس وكأنها قرع طبول تشترك فى هذا العزف الآثم .

وحين بلغت المعركة الليلة أوجها اقترب أحد المعتدين من كوخ منعزل ، تركه صاحبه ليساهم فى الدفاع عن الحى ، ولم يبق فيه سوى زوجة وستة أطفال ... ولما سمعت المرأة حركة عند كوخها ظنت أن زوجها عاد ليتفقد أسرته ، فصرخت قائلة : من بالباب ؟ ... فأجابها المعتدى : يهوديم ، ثم سألها : أين زوجك ؟

قالت : خرج ، ولا أدرى إلى أين . وليس فى البيت سواى وأطفالى ....

لعل القارئ يتصور أن المعتدى ابتعد عن الكوخ وسكانه الأبرياء الآمنين ، غير أن الواقع كان على العكس من ذلك ، فإنه وضع لغماً عند باب الكوخ ، وأشعل فتيله ، وأطلق ساقيه للريح ، ملبياً صوت قائده الذى يقول له من بعيد : بوهينا اتسحاق ... مهيرا(١) ! ... وبعد لحظات انفجر اللغم ، وقتلت المرأة مع أربعة من أطفالها ، واستحال الكوخ إلى رماد .

أما الدكتور ماغنس فهو عميد الجامعة العبرية بالقدس ، فى حدود الخامسة والخمسين ، أمريكى الجنسية ، مديد القامة ، نحيف الجسم ، غائر العينين ، ذاهل النظرات ، وصاحب مائة مشروع ومشروع من أجل التقارب بين العرب واليهود .

واستمرت المعركة حتى السادسة صباحاً ، فتطلعت إلى جهة الجامعة فرأيت أحد المعتدين يقذف النار من مدفع (برن) ، وقد نصبه فى صومعة الدكتور ماغنس ، وتقع هذه الصومعة فوق سطح فرع الإنسانية التابع لكلية الآداب ! ...

وحوالى الساعة السابعة صباحاً هدأت المعركة ، وهرع السكان إلى حيث يقع الكوخ المنسوف ، والأشلاء المبعثرة ، وكان بود المعتدين أن يغتنموا هذه الفترة الملائمة ، ويمطروا الحشد بوابل من الرصاص ، لو لم تتدخل السماء وتسدل ستاراً كثيفاً من الضباب على الجامعة العبرية لمدة نصف ساعة من الزمن .

ثم انقشع الضباب .. وانتشر الضياء ... وعرف العرب أمراً جديداً ، هو أن فى وُسع العلم والجريمة أن يعيشا فى الجامعة العبرية تحت سقف واحد ! ...

نجاتي صدقي

(*) السرعة ... السرعة ... وإلى الأمام .

(١) تعالى يا إسحاق على عجل

إدارة البلديات العامة — مياه

تقبل العطاءات بإدارة البلديات العامة (بوستة قصر الدوبارة) لغاية ظهر يوم ٥/٥/١٩٤٨ عن عمليه إنشاء خزان عالى للمياه بينها وتطلب الشروط والمواصفات الخاصة بذلك من الادارة على ورقة تمغة من فئة الثلاثين مليما مقابل دفع مبلغ قدره ٣ قروش للنسخة الواحدة عدا أجرة البريد

٩١٦٩